﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦﴾ [المؤمنون: 45 - 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

مثلما كذّبت الأمم السّابقة رسلَها كذّب فرعونُ وقومه موسى وأخاه هارون

بعد أن أرسل الحقّ ﷻ الرّسل تترى إلى أقوامهم فأنكروا بعثة الرّسل من البشر، وتكبّروا عليهم، أرسل الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه ومن تبعهم من القبط، أرسلهما بالآيات والحُجَجَ والبراهين؛ فما كان منهم إلّا الاستكبار عن الاتّباع، وعدم الانقياد لما أمروا به، حالهم في ذلك حال من تقدّمهم من الأمم التي كذّبت رسلها، وصدفت عن دعوتها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَسُلۡطَٰنٖ﴾: (سلط) أَصْلٌ يَدُلُّ على التمكّن من القهر من بعيد، والسّلطان بمعنى الحجّة؛ ولذا وُصِف الأمراء بالسّلاطين، فبهم تقام الحجج، وتُؤخذ الحقوق[1]، وكلّ سلطان في القرآن بمعنى الحجّة النّيّرة، ومن معانيه التّمكّن من القهر والشّدّة أيضًا[2]، وترد الكلمة في القرآن على معنى الحجّة والقدرة القاهرتين[3]، ومعنى السّلطان في الآية بمعنى الحجّة الواضحة البيّنة التي تُظهِر بطلان من خالفها، فتَحْتَمِل أن تكون عصا موسى عليه السلام، أو الآيات نفسها[4].

2) ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: (ملأ) أَصْلٌ يَدُلُّ على تجمّع الشيء في أثناء ظرفٍ حتى لا يبقى في الظَّرف، ومنه المماألة بمعنى المعاونة

(1) الفراهيدي، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (سلط).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والهروي، الغريبين في القرآن والحديث، والراغب، المفردات: (سلط).
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (سلط).
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 7/ 193.

والمظاهرة، وإذا تمالؤوا على الأمر فقد اجتمعوا عليه، ومعنى (الملأ): "جماعةٌ يجتمعون على رأيٍ، فيملؤون العيونَ رواءً ومنظرًا، والنّفوس بهاءً وجلالًا"[1]، وهم الأشراف من النّاس ووجهاؤهم، وتسمية أشراف القوم من الامتلاء لأنّهم مُلئوا رأيًا وغَناءً، وفي ذكر ملأ فرعون في الآية إشارة إلى أهل مجلسه ومجتمعه وعلماء دينه من السّحرة وأضرابهم[2].

3) ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: (كبر) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الصِّغَرِ، والأصل في الكِبر أن يستعمل في الأعيان، ثمّ يستعمل استعارة للمعاني كالاستكبار المذكور، وهو قريب من الكِبَر والتّكبّر، وفيه أن يتشبّع الإنسان فيكون مظهِرًا من نفسه ما ليس له، وهو الإعجاب بالنّفس[3]، ومعنى الاستكبار في الآية أنّهم تكبّروا عن الإيمان بما جاء من عند الله تعالى[4].

4) ﴿عَالِينَ﴾: (علو) أصل، والعلوّ ضدّ السّفل، وهو العظمة والتّجبّر، وهو لله ﷻ رفعةٌ وتشريفٌ[5]، ووصف العالين فيه دلالة التّكبّر، أي: متكبّرين؛ فإنّ من معاني العلوّ التّكبّر في الأرض[6]، ومعنى وصفهم بكونهم قومًا ﴿عَالِينَ﴾، أي: أنّهم متكبّرون يريدون أن يقهروا غيرهم بالظّلم والعدوان[7].

المَعْنى الإجْماليُّ:

أرسلنا موسى وهارون إلى فرعون ومَلَئِه فعَتَوْا وصَدّوا وكانوا من المتكبّرين

كان ممّن أرسلنا بعد تلك القرون موسى وهارون ﷺ المؤَيَّدان بالحجّة والبرهان المبين؛ فإنّهما أُرسلا إلى فرعون ومن شايعه

(1) الجوهري، الصحاح، والهروي، الغريبين، والراغب، المفردات: (ملأ).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 63.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كبر).
(4) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 291.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (علو)، والراغب، المفردات: (علا).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (علا)، والكفوي، الكلّيات، ص: 659.
(7) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 419.

من ملئه وأشراف قومه من القبط، فما كان منهم إلّا الصّدود عن دعوتنا، والاستكبار عن الإيمان بما جاءا به من عندنا؛ فإنّهم كانوا قومًا عالين متكبّرين على الرّسالة، وعلى قومهم من بني إسرائيل بالظّلم والقهر[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف بـ﴿ثُمَّ﴾:

لمّا كانت الرّسالة لفرعون وقومه بعد مدّة طويلة دلّ عليها بحرف التّراخي

عطف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ بحرف المهلة ﴿ثُمَّ﴾ على ما قبله من الأقوام التي أرسل إليها الرّسل متتابعين؛ فكذّبوها فأخذهم الله بذنوبهم؛ لأنّ الرّسالة إلى قوم فرعون كانت بعد مدّةٍ طويلة؛ فناسبها التّعبير بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ الدّالّ على التّراخي[2].

سرّ إسناد الفعل لضمير العظمة ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

أسند النظم الكريم الفعل إلى الضمير الدالّ على التعظيم، لبيان عظمة الرسالة فإنها تكون على قدر مرسِلِها.

سرّ اختصاص ﴿مُوسَىٰ﴾ و﴿هَارُونَ﴾ بالذّكْر:

أنقذ الله تعالى بني إسرائيل على أيديهما

واختصّ المولى سبحانه من أنبياء بني إسرائيل ﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ عليهما السلام بالذّكر؛ لأنّهما النّبيّان اللّذان أنقذ الحقُّ ﷻ على أيديهما بني إسرائيل[3] من فرعون وتسلّطه وعبوديّته.

دلالة تقديم ﴿وَأَخَاهُ﴾ على هارون:

الأخوّة إيذان بتبعيّته في الرّسالة

وفي قوله تعالى: ﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ قدّم صفة الأُخوّة على الاسم العلم ﴿هَارُونَ﴾، ولم يعكس بأن يقول: (وهارون أخاه) في إشارة إلى تبعيّته في النّبوة، وهو بدل أو عطف بيان[4].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 51.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 144.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5077.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 179.

معنى الباء، ودلالة الإضافة:

أُرسلوا مصاحبين الآيات المعجزات بعظمته تعالى لمن يباريها

والباء في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ دالّة على المصاحبة والملابسة، وهو معنى من معانيها المشتهرة في كلام العرب[1]، فقد أرسلهم الحقّ ﷻ على ملابسة الآيات ومصاحبتها، ثمّ أضاف الآيات المعجزات إلى ضّمير الجلالة (نا) العائد عليه سبحانه، تنويهًا بها، وإظهارًا لعظمتها[2]؛ فهي آيات سامية مهيبة؛ لصدورها ممّن يتّصف بالعظمة والمهابة.

دلالة العطفِ:

حجّة عظيمة واضحة في حراسته وإعلاء شأنه وهي من أعظم الآيات

عطف قوله: ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأنّه على معنى الحجّة الملزمة العظيمة الواضحة في أنّه وحده، وقد حرسه الله تعالى، وأعلى شأنه على من عاداه، كما أنّ عطف السّلطان المبين على الآيات من باب عطف الصّفة على الموصوف؛ لبيان مزيد الاختصاص، فالآيات هي السّلطان، وهو الحجّة، والحجّة عليه تعالى آياتُ الكون، وعلى صِدْق الرّسول معجزاتُه، وعلى الأحكام الآياتُ الحاملة لها[3].

سرّ وصف السُّلْطانِ بـ﴿مُّبِينٍ﴾:

معجزةٌ محيطةٌ متكرّرةٌ في أحوالها بين انقلابها حيّة وتفجّر الماء بها وغير ذلك

وسمّى الحقّ سبحانه معجزة موسى بالسّلطان، ووصفها بالمبين، أي: المحيط؛ لكونها معجزة متكرّرة متعدّدة في أحوالها، تنقلب تارة حيّة تلقف الحيّات، ويضرب بها البحر تارةً أخرى فينفلق، ويضرب بها الحجر تارة ثالثة فيتفجّر منه الماء، وله فيها مآرب أخرى[4] وهي في كل أحوالها واضحةٌ ظاهرةٌ.

نكتة اقتصار الإرسال ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾:

لمّا أُرسل موسى وهارون عليهما السلام اقتصر في هذا الإرسال ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 140.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 63.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 10046.
(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 10046.

دعوةٌ لفرعون ومَن بيده تصريف الأمور لتحرير بني إسرائيل من العبودية

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾، وهم أعيان القوم وأهل مجلسه دون الباقين من أُمّة القبط؛ لأنّ تلك الدّعوة كانت خطابًا لفرعون وأهل دولته ممّن يتصرّفون في أمور الأمّة، وكان غرض الدّعوة تحرير بني إسرائيل من العبوديّة؛ فلم يكن إرسالهما بشريعة إلى الأقباط[1].

فائدة ذكر ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ بعد فرعون:

لمّا كان الأطراف لا يخالفون الأشراف عدّهم عدمًا

لمّا ذكر إرسال موسى وهارون ﷺ إلى فرعون، عَطَف عليه قومَهُ بقوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾، فأوردهم بعد فرعون؛ لأنّ الأطراف لا يخالفون الأشراف، بل هم تَبَعٌ لهم؛ فعدّهم عدمًا[2] وألحقهم بفرعون إمامهم.

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾:

سرعة إيجاد الكِبْر منهم عن اتّباع الدّعوة إلى الله من غير تأمّلٍ وطول نظر

لمّا كانت الفاء دالّةً على التّعقيب من غير مهلةٍ في حروف المعاني[3]، أوردها في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ في إشارة إلى سرعة إيجاد الكبر منهم عن اتّباع الدّعوة إلى الله عقيب إبلاغهم، من غير تأمّل وتثبّت وطول نظر، وأن لا يكونوا تحت إمرة الدّاعي[4]؛ وفي ذلك تشنيعٌ عليهم استعجالَهم الفعلَ السَّيِّئَ، والأمرَ القبيح.

ويجوز أن تكون الفاء المقترنة مع فعل الاستكبار دالّة على السّببيّة؛ فإنّهم بسبب هذه الطّغواء استكبروا وتجبّروا وكانوا قومًا عالين، لا يستمعون إلى داعي الحقّ[5].

الغرض من الحذف في قوله ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾:

أمراهم أن يعبدوا الله وحده فاستكبروا

في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ حذفٌ لأنّ الاستكبار لا يكون ناشئًا عن مجرّد مجيء موسى وهارون ﷺ إلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 63.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 145.
(3) ابن جني، اللمع في العربية، ص: 91.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 145.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5078.

فرعون وملئه، بل لأنّ التّقدير بعد المجيء: (أن اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره)[1]؛ فاستكبروا عن هذه الدّعوة، وكانوا من العالين.

إيثار فعل الاستكبار مادَّةً وصيغةً:

طلبوا الكبر وتكلّفوه فلم ينقادوا إلى الحق

آثر فعلَ الاستكبار على غيره بقوله: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾، وهو فعلٌ دالٌّ على الطّلب والاكتساب، وزنه (استفعل)[2]، وهذا كان حالَهم تمامًا؛ لأنّهم طلبوا فِعل الكِبْر وتكلّفوه، فكان مصيرهم أن لم ينقادوا إلى الحقّ المبين[3]، والسّين والتّاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ دالّة على التّوكيد؛ فإنّهم لَمّا أتتهم الدّعوة والآيات والحُجج البيّنات لم يتأمّلوا فيها، ولم يُعيروا موسى ودعوته الآذان الصّاغية التي يجب أن تكون، ولكنّهم أفرطوا في كبريائهم، وتكبّروا تكبّرًا شديدًا[4].

فائدة التعبير بالفعل ﴿وَكَانُواْ﴾:

أصالة فساد جبلّتهم وطبعهم

ولَمّا أراد الإشارة إلى فساد جِبلَّتِهم وطَبْعِهم وعادتِهم وما فُطِروا عليه[5] أورد فعل الكون مصدّرًا بقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾، أي: إنّهم العريقون في صفتهم تلك وهي العلوّ والتّكبّر، والتعبير بالتكوين يدل على أنّهم جُبلوا على ذلك.

نكتةُ ذِكْر القوميَّة هنا ﴿قَوۡمًا﴾:

تمكّن الاستعلاء منهم فخالط سجاياهم وتقوّم مع قوميّتهم

ونكتةُ ذكر القوميّة بقوله: ﴿قَوۡمًا عَالِينَ﴾ من باب التّيئيس منهم، وقطع الأمل عن ترك استكبارهم؛ فإنَّ بلوغهم هذا المبلغ من الاستعلاء لا يُرجى منه صلاحهم؛ فقد تمكّن الاستكبار والاستعلاء منهم وإنّما نشأ الكبر فيهم سجيّة وتطبّعًا[6]، وتجذّر فيهم فخالطهم ولابس سجاياهم، وتقوّم مع قوميّتهم، وصار من خصائصهم، ولو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 145.
(2) الشاطبي، المقاصد الشافية: 8/ 314.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 574.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 63.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 145، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1295.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 64.

لم يُذكر لكان لفظ الـ﴿عَالِينَ﴾ لقبًا يصدق على من كان العلوّ غير متجذّر فيه، فيرجى منه صلاحه وإيمانه، وما هم عليه خلاف ذلك.

موقع جملة ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ ودلالتها:

وجملة ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ واقعة موقع الاعتراض بين جملة الاستكبار وما تفرّع عليها من قولهم: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ﴾، وهي جملة في موضع الحال من فرعون وملئه؛ باستكبارهم وإعراضهم عن إجابة دعوة موسى وهارون عليهما السلام فكان شأنهم الكبرياء والعلوّ خلقًا وسجيّة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السّلطان والحجّة:

الحجّة استقامة النّظر والسّلطان قهرٌ وقدرةٌ وهو أليق بإرسال موسى إلى قومٍ متعنّتين

وجاء بلفظ السّلطان في إرسال موسى وأخيه عليهما السلام بقوله تعالى: ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ وترك لفظ الحجّة مع أنّ بينهما تلاقيًا في المعنى العامّ إلّا أنّ السّلطان له قوّة اليد في القهر والجبروت لِما كثُر كالجمهور، وما قلّ كالجماعة القليلة، والسّلطان دالّ على القدرة أيضًا[2]، أمّا الحجّة فهي "الاستقامة في النّظر والمضيّ فيه على سَنَنٍ مستقيم؛ مشتقّة من معنى الاستقامة في القصد؛ حجّ يحجُّ إذا استقام في قصده"[3]؛ فإيراد لفظ السّلطان هنا أنسب وأليق في مقام إرسال موسى وهارون إلى قوم يتّصفون بالكفر والتعنّت والجحود.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 63.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 282.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 233 - 234.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»